نـدوب

تنقـر علـى يـد الكرسـي في توتـر بالغ، تنظـر للعلبـة الفضية؛ الـتي تعـود للقـرن الثامـن عشـر، تتأمّـل نقوشـها العميقـة، الـتي صنعـت بدقـة والـتي تبـدو كنـدوب علـى سـطحها الأملـس، والمينا الزرقـاء الـتي تزيّـن النقـوش، والـتي تذكّرهـا ببحـر الإسـكندرية، صديقهـا القديـم، الـذي طالمـا جاورتـه لتبيـع التفـاح المحلّـى «خـد الجميـل» لـرواد شـواطئه علـى رصيـف الكورنيـش.

هـا هـو العـرض الـذي تدمـن حضـوره أوشـك علـى البـدء، حيـث اقـترب ذلـك الرجـل البالـغ الطـول المهنـدم بشـكل زائـد مـن المنصـة ممسـكًا بيـده مطرقـة، تشـبه تلـك الـتي رأتهـا في المحكمـة ذات يـوم.

عندمـا تـوفي الرجـل الثـري المسـن، الـذي أعجـب بهـا وفي لحظـة قدريـة، وعلـى الرغـم مـن الفروقـات الكبـيرة تزوجهـا، ثـارت ثائـرة أبنائـه، ولكنّـه كان رجـلاً بحق؛ إذ دافـع عنها حتّى هزمـه المـرض، فأذاقوهـا أشـدّ أنـواع التنكيـل والعـذاب مـن حبس وخطـف ومعايـرة بانعـدام أصلهـا، وأنهـا فتـاة الشـارع الضالّـة كما الـكلاب، وقامـوا بكـيّ يدهـا لإجبارهـا علـى التنـازل، عمّـا كتبـه لهـا زوجهـا مـن أموالـه.

مـازال أثـر الحـرق موجـودًا شـاهدًا علـى تلـك الأيـام، مـازال يؤلمهـا، تخبّئـه تحـت سـوارها الماسـي الجديـد، تنظـر لـه، وتبتسـم.

تتذكـر قوتهـا في الرفـض وعنادهـا وتمكنهـا مـن الهـروب ولجوئهـا إلى القانـون، القانـون الـذي حكـم بمطرقتـه علـى صحـة وجودهـا الإنسـاني وحقهـا في الحيـاة الكريمـة.

بدأ الرجل في التحدث واصفا تلك القطعة الفريدة:

«علبـة صنعـت مـن الفضـة الخالصـة، مطعمـة بالعـاج والمينـا الزرقـاء، تم صنعهـا يدويًّـا، منشـؤها إنجلـترا، مبطنـة بالمخمـل الأزرق والحريـر الطبيعـيّ؛ وليبـدأ المـزاد بألـف جنيـه كقيمـة أولى»

يبـدأ الحاضـرون في المزايـدة، تتسـارع ضربـات قلبهـا تتلاحـق الذكريـات يـزداد نقرهـا علـى الكرسـي، تزايـد وتزايـد، حتـى تسـمع الكلمـات السـحرية (...ألا أونـا ...ألا دوي ...ألا تـري ... sold).

عندهـا يبـدأ النبـض في الهـدوء والنفـس في الراحـة والسـكينة، لقـد امتلكـت قطعـة جديـدة تحمـل تاريخًـا عريقًـا وأصـولًا معروفة

في سجلات المزادات وفي العائلات الكبيرة المهتمة بالتحف وأصولها.

تحمل القطعة الجديدة إلى سيارتها الفارهة فرحة ذاهبة إلى فيلّتِها الخاصة في نشوة مضاعفة؛ لنصر جديد، ستضيف قطعة أخرى لما تمتلكه، وحينما تتعرف على صديقة جديدة، تخبرها أنّ القطعة كانت لجدّها الأكبر فلان بك، وأنّها وجدتها في متعلّقات الأسرة القديمة، التي وضعت في شقة صغيرة بعد أن استولى ضباط الجيش على القصور والأراضي والأموال الخاصة بعائلتها العريقة، وعندما ترى لمعة التقدير في عين الصديقة، يسكن ألم الحرق القديم.